بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال

(٦)

المنفى

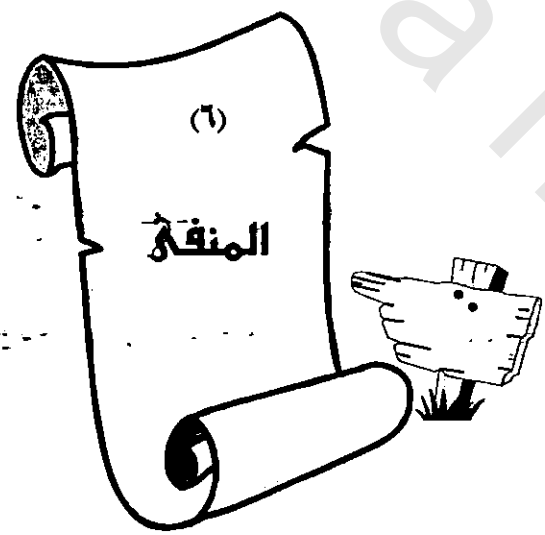

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

عام ١٩٤٨ أدرك بسام الشكعة أن بوسعه العمل من أجل قضية بلاده بشكل أفضل من خارج فلسطين التي قسمت والتي احتل الصهاينة الجزء الأكبر منها والأكثر خصوبة ـ وبين الأردن التي كان يتبعها ما عرف باسم الضفة الغربية بينما ظل قطاع غزة تحت الإدارة المصرية .

في تلك الفترة كان العالم يعرف القليل عن مأساة الشعب الفلسطيني ولا يكاد يمنحها اهتماما يذكر .

الفلسطينيون الذين كانوا خارج وطنهم لقضاء أجازاتهم أو في بعض أعمالهم وحاولوا العودة بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ تم القبض عليهم واعتبرتهم سلطات الاحتلال « متسللين » وسجنوا أو تم ترحيلهم ثانية من بلادهم بعد مصادرة أملاكهم .

قام الصهاينة في الحال بتوطين أعداد كبيرة من اليهود في المناطق التي استحوذوا عليها لمنع العرب الفلسطينيين من العودة إليها .

وبهذا لم يجد الفلسطينيون مكانًا لهم سوى العيش في مخيمات اللاجئين أو في الدول المجاورة . وكانوا بالليل يحاولون العودة لجني المحاصيل في مزارعهم التي تركوها وأدت محاولات المقاومة التي قام بها بعض الشباب الفلسطيني الذين كانوا يتسللون داخل الأرض الفلسطينية إلى خلق ردود فعل وحشية من الإسرائيليين تجاههم وأدت إلى توترات عديدة على الحدود وأيضا مع الفلسطينيين .

ترك بسام الشكعة دراسته وعاش في سوريا حيث صار عضوا بحزب البعث لأنه أحس أن هذا يتيح له الفرصة للعمل من أجل الوحدة العربية وأنه يتيح له إقامة قاعدة عربية من العمل المشترك لمقاومة الصهيونية والامبريالية . كلمة البعث تعنى النهضة «رينسانس» .

وأحس بسام الشكعة أن هناك حاجة ضرورية لرؤية جديدة لدى جيل جديد ليس فقط بين الفلسطينيين ولكن بين العالم العربي كله . هذا العالم العربي الذى قسمت ولاياته إلى أجزاء وحدود مصطنعة أقامها الامبرياليون مما أدى إلى التجزئة . وكانت سياسات التجزئة هي أسلوب هؤلاء الامبرياليين في حكم العالم كلمه .

صار بسام الشكعة شخصية معروفه بين القيادات البعثية . وأعلن حزب البعث، الذى أسسه ميشيل عفلق أهدافه متمثلة في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ولكن واقعيا كانت هذه الشعارات والنظريات السياسية التي تتبعها الأحزاب والأنظمة الأخرى كانت لمجرد خدمة أغراضهم الزائفة الأمر الذي أدى إلى وضع البذور للانشقاقات الموجودة على الساحة اليوم .

في وصف دقيق لهذا الموقف يقول طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي : « أن الحركة كانت قوية ونشطة في فترة الخمسينيات وجاذبة للملايين من الجماهير العربية وبتأييد هذه الجماهير حققت انتصارات عظيمة . ثم بدأت تضعف قوتها حين فقدت علاقتها بالجماهير وبالتالي قدرتها على مواجهة الاستعمار .الصهيوني وعلى تحقيق أهدافها .

وفي عام ١٩٥٩ ـ بسبب التناقضات التي اكتشفها الكثير من الشباب وبسبب التطورات الجارية والتمايز الطبقي بين قيادات الشعب وقواعده بدأ بسام الشكعة يتحرر من الكثير من الأوهام وانفصل عن عضوية الحزب .

بعد عامين تزوج بسام الشكعة من زوجته السيدة عناية . ولديهم الآن أربعة من الأبناء الذين أثبتوا شجاعتهم .

وتتميز زوجته بجمالها وشخصيتها الآسرة وعواطفها القوية وذكائها الوقاد. ولذا ساندت زوجها بسام الشكعة في شتي ظروف نضاله . ولذا هو يقول أحيانًا

ضاحكًا : «إنني أخشى في بعض الأحيان أن تستغرقني قضية فلسطين فأنسى الاهتمام بزوجتي عناية ولكنها أبدًا لا تشكو أو تبدى أي نوع من القلق.

هما معًا في نضالهما من أجل القضية الفلسطينية يتمثلان ببعض الأشعار المكتوبة بعاطفة قوية تميز الفلسطينيين تجاه وطنهم والتي ربما تشرح أكثر من أي شيء أخر التصميم العميق والإرادة القوية لدى رجال مثل بسام الشكعة يواجهون الظلم والطغيان يتمثل بقصيدة للشاعرة الفلسطينية فدوي طوقان التي هي أيضا تنتمي لمدينة نابلس والتي اعتبر الصهاينة قصائدها خطرًا ضد وجودهم .

وبعد الاحتلال الإسرائيلي لمدينة نابلس بالضفة الغربية سنة ١٩٦٧ منع الجنرال موشى ديان الشاعرة فدوى طوقان من كتابة قصائدها ونشرها .

كتبت :

بعيدًا عن آمالك التي تدوسها الأقدام

وبعيدًا عن نموك المصلوب

وابتساماتك المسروقة

ابتسامات الأطفال المسروقة

وعن السفن المحطمة

والتعذيب

وبقع الدم التي تلطخ الجدران

وعن ارتعاشات الحياة والموت

سوف تولد الحياة

أيها الأرض العظيمة

أيها الجرح العميق

والحب الوحيد

....

....

لم يتفهم العالم الغربي المشاكل التي ترتبت على وجود الفلسطينيين في المنافي بسبب التعتيم الإعلامي وبسبب القمع .

وترتب على أحداث الأردن في أيلول الأسود (سبتمبر ١٩٧٠) أن بدأ العالم يدرك أبعادًا جديدة للمشكلة . وكذا بعد الغزو الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٧٨ وهو الحدث الذي ترتب عليه أحداث أخرى أصبح بعدها بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس شخصية معروفة على المستوى الدولي .

في أعقاب كل عملية فدائية - تقع فعلاً أو محتملة - وكذا عمليات المقاومة داخل إسرائيل كان يجري قصف جوي للبلدان العربية المجاورة . ولم تكن هذه العمليات تهدف إلى توقيع العقاب على رجال المقاومة الفلسطينية المقيمين في الأردن . ولكن أيضًا كانت تهدف إلى قتل وإبادة الفلسطينيين .

وكان أغلب ضحايا هذه الهجمات من المدنيين الفلسطينيين سكان المخيمات وكذا من أبناء البلدان العربية المجاورة لخلق حالة من الاستياء والكراهية بينهم وبين اللاجئين الفلسطينيين . باعتبار أن وجودهم هو سبب هذه الضربات الانتقامية .

بعد أن أمضى بسام الشكعة عامين ونصف متخفيًا في نابلس صار لاجئًا سياسيًا في سوريا حيث قامت السلطات باعتقاله لمدة ١٩ يومًا ثم تم ترحيله إلى لبنان . وبعدها ذهب إلى القاهرة التي أمضى بها ثلاثة أعوام ثم ذهب إلى الأردن بدعوة من رئيس الوزراء الأردني وصفي التل . وعاد معه إلى الأردن الكثيرون من رفاقه من

رجال المقاومة الفلسطينية .

مع ذلك سرعان ما حدثت اضطرابات في الأردن حيث كان الإسرائيليون يشنون هجمات على القرى الفلسطينية . وحين نظم الفلسطينيون مظاهرات ضد هذه الهجمات تم اعتقال بسام الشكعة وثلاثة من أخويه وأبنائه لمدة ثلاثة أسابيع .

◆◆◆

opeikan.com